وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

الدراسات العليا .. ماجستير ادب

الصورة اللونية في الشعر الاندلسي : الجزء الاول

أ.م .د لؤي صيهود فواز التميمي

١٤٤٦هـ ٢٠٢٥م

مفهوم الصورة اللونية

تمثل الصورة اللونية بعدًا أساسيًا من أبعاد التشكيل الفني في الخطاب الأدبي، حيث يُعد اللون عنصرًا بصريًا يتفاعل مع غيره من المكونات الحسية كالحجم والشكل والموقع والحركة. ويتجاوز اللون في النصوص الشعرية وظيفته الحسية المباشرة ليصبح عنصرًا دلاليًا يسهم في تشكيل البنية الرمزية والتعبيرية للنص، مما يمنحه أبعادًا إيحائية تتجاوز المدلول البصري إلى فضاءات نفسية ووجدانية أرحب.

إن الصورة اللونية في الشعر لا تقتصر على كونها عنصرًا زخرفيًا، بل تتيح للنص الشعري فضاءً واسعًا من الإيحاءات والرموز، إذ تتعدى دلالة اللون حدوده الحسية إلى تأويلات أوسع تتصل بالبنية الرمزية للنص. فاللون قد يصبح مرادفًا لحالة وجدانية أو قيمة فكرية أو رؤية فلسفية، مما يعكس قدرة اللغة الشعرية على تحويل المدركات الحسية إلى رموز ذات أبعاد تأويلية.

يرى **الدكتور عز الدين إسماعيل** أن اللون في الشعر يشكل عنصرًا جوهريًا في عملية الإبداع الفني، حيث يشبه الشاعر الطفل الذي ينجذب إلى الألوان لا لمجرد اللعب بها، وإنما بدافع الاكتشاف وإثارة المتلقي. فالألوان في الشعر ليست مجرد انعكاسات بصرية، بل هي أدوات استحضار وإعادة تشكيل لعوالم النص، مما يمنح التجربة الشعرية طاقة إيحائية تجعلها أكثر عمقًا وتأثيرًا في وجدان القارئ.

كان الشعر ولا يزال مصدر الثراء اللغوي عند العرب، فقد أحبوه وتغنّوا به، وجعلوه وسيلتهم المثلى للتعبير عما جال في أذهانهم واعتلج بين خلجاتهم. وقد تميز الشعر

العربي بقدرته على استيعاب الصور الفنية التي تقوم **على الخيال والتصوير، وهما الركنان الأساسيان في العملية التكوينية للصورة اللونية**.

يرى د. صالح الويس أن اللون في التشكيل الفني، ومنه الشعر، يتجاوز كونه مجرد عنصر بصري إلى كونه طاقة جمالية تمتد عبر النص لتعزز قيمه التعبيرية والتصويرية. فاللون، بحسب الويس، يُعَدّ مقاربة جمالية خالصة تتأسس على الخبرة السيكولوجية والخصائص الفسيولوجية للرؤية، مما يمنحه دورًا حيويًا في توجيه شكل الخطاب الشعري وإثراء المشهد التصويري بقيم جمالية جديدة. يشير إلى أن اللون، بوصفه موجات ضوئية ذات أطوال متباينة، يشكل جانبًا جوهريًا في إدراك المحسوسات، سواء في العالم المادي أو في التمثيل الفني. فهو "جنس الأجناس"، إذ ينقسم إلى البياض والسواد والحمرة والصفرة وفقًا للضوء المسلط عليه، مما يجعله وسيلة رئيسة في التمييز والتصنيف البصري. في الفنون التشكيلية، يرتبط اللون بالأصباغ التي يستخدمها الفنانون في إبداعاتهم، أما في الشعر، فهو يتجاوز البعد الحسي ليغدو عنصرًا دلاليًا يعكس حالات شعورية وتجارب إنسانية معقدة.

وفقًا للنظرية الأرسطية، على مبدأ المحاكاة، فإن الشعراء يحاكون كما يفعل الرسامون، وإن اختلفت الوسائل. وهذا التشابه يجعل العلاقة بين الشعر والرسم وثيقة، حيث يتداخل كل منهما مع الآخر في آلياته وأساليبه، مما يعزز مفهوم التناص بين الفنين.

يمتلك اللون في الشعر وظيفة تتجاوز كونه عنصرًا حسيًا ليصبح استعارة جمالية ورمزية، تساهم في تشكيل الصورة الشعرية وإثراء دلالتها. وعلى الرغم من أن اللون في الرسم يمثل حقيقة حسية بصرية، فإنه في الشعر يتحول إلى رمز دلالي يوظفه الشاعر وفق رؤيته الفنية، ليعكس من خلاله حالته الشعورية ويدمج المتلقي في تجربة جمالية ذات بعد بصري.

كيف يتم توظيف اللون في القصيدة

يتطلب هذا التوظيف للون في الشعر حساسية خاصة من **قبل المتلقي**، إذ لا يمكن قراءة اللون في القصيدة قراءة معجمية أو تقليدية، بل يجب تأويله وفق السياق الشعري والرؤية الجمالية للنص. إن توظيف اللون في الشعر يشكل أنظمة دلالية متحولة، حيث لا تخضع لتفسيرات ثابتة، بل تتأثر بالسياق والرؤية الجمالية للشاعر، مما يجعلها أداة فعالة في إضفاء العمق البصري والانفعالي على النص. وهذا ما يمنح الصورة الشعرية قوة استثنائية، إذ إنها لا تثير فقط عواطف المتلقي، بل تستدعي استجابته البصرية والوجدانية على حد سواء، مما يحقق التفاعل الحي بين النص والمتلقي. وبذلك، تتشكل القصيدة الصورة وفق رؤية جمالية تتداخل فيها عناصر اللون والإيقاع والرمز، مما يجعلها أقرب إلى اللوحة التشكيلية التي تنبض بالحياة، لكن بأدوات لغوية تتجاوز الحس إلى فضاء الخيال والانفعال.

لا يخضع اللون في الشعر لمنطق الواقع البصري، بل لمنطق التعبير الشعري، حيث يمكن أن تصبح السماء حمراء والأنهار صفراء وفق ما تقتضيه بلاغة الصورة. فهو لا يُستخدم بوصفه عنصرًا زُخرفيًا، بل بوصفه مكونًا جوهريًا في بناء الصورة الشعرية وإثارة مشاعر المتلقي، مما يمنح القصيدة طاقة جمالية تتجاوز حدود اللغة إلى فضاء الإدراك البصري والانفعالي.

تعدّ الصورة في التشكيل الشعري عنصرًا جوهريًا يجمع بين التشكيل البصري والتخيل الذهني، حيث تسهم في نقل العاطفة وإثارة الشعور لدى المتلقي عبر الصياغات اللغوية التي تحول المثيرات الخارجية إلى مشاهد إبداعية. فالصورة ليست مجرد محاكاة حسية، بل هي خلق فني يعتمد على المخيلة في إعادة تشكيل الحقائق بصيغة إيحائية مؤثرة.

إن بناء الصورة الشعرية يعتمد على أسس تكوينية محددة، تبدأ بالاختيار من الواقع المنظور، ثم إعادة تركيب العناصر المختارة ضمن نسق منتظم يحمل دلالة واضحة. وهذا يجعل للصورة وظيفة مزدوجة؛

١. فهي من ناحية تمثّل علامة دالة تعتمد على منظومة علاقات ثلاثية:

- **مادة التعبير، التي تشمل الألوان والمسافات في اللوحة التشكيلية**
- **والأدراكات الذهنية التي تمثّل القصيدة الصورة**
- **وأشكال التعبير التي تتجسد في التكوينات التصويرية للأشياء والأشخاص.**

٢. ومن ناحية أخرى، فإنها تعكس المضمون الثقافي للصورة وتشكيلها الدلالي عبر الإدراك الذهني للمتلقي، مما يخلق حالة تفاعل بين النص والمتلقي.

إن الصورة الشعرية تتجاوز حدود التجزئة؛ فكل جزئية في النص ليست مجرد عنصر مستقل، بل هي جزء من كل متكامل يعبر عن رؤية الشاعر ويعكس تجربته الإبداعية. وعليه، فإن إدراك الصورة لا يتم من خلال تفكيك أجزائها، بل عبر استيعاب التفاعل العميق بين مكوناتها، وهو ما يمنحها بعدها الجمالي وقدرتها على التأثير في المتلقي.